يحيى بن عطية

المغرب والمشرق : علاقة وتمفصل
(ملاحظـات عـامـة)

□ يبدو ان مرحلة « ما بعد بيروت » أصبحت تفرض القيام بتحليل واضح لتمفصل العلاقة بين نضال التحرر الوطني العربي ، الذي تمثـل فلسطيـن قلبه النابض ، وبين النضال الديمقراطي في المغرب بمضمونه الطبقي والتحرري. وسنعمد بغية استجلاء مظاهر هذا التمفصل ، الى تقديم تحليـل مقتضب يوضح ابعاد التطور التاريخي لقضايا الصراع الاجتماعي في المغرب ، فـي مواجهة الاحتلال الاستعماري والسيطرة الاستعمارية الجديدة .

1 ـ صراع القبـائـل ضـد الاحتـلال الاستعمـاري
(1934 / 1900)

والواقع أن هذا الصراع كان هو التعبير عن مقاومة الجماهير الفلاحية للاحتلال الاستعماري ، رغم انها كانت « مؤطرة » في البنى القبلية ، وخاضعة ، كما هو معروف ، لهيمنة الاوليغارشية السائدة في القبائل ، أو ما يسميـه P. PASCON بـ « القائدية » . ومع ذلك فقد وجدت باستمرار امكانية لكسر الانغلاق القبلي وتحطيم حدوده الكابحة ، وغالبا ما كان يتـم ذلـك بالاندفاع الوطني الثوري للجماهير الفلاحية وراء قيادة سياسية تطرح مشروعا سياسيا واجتماعيا يتجاوب مع ذلك الاندفاع .

ولعل المحاولة الأولى ، من هذا النوع ، تمت في سنة 1912 ، أي مع الهبة المعممة التي قامت بها قبائل سوس والأطلس الكبير ضد « القائدية » / عملاء التدخل الاستعماري ، وكذا ضد تهاون النظام المخزني الذي كان يرعى تلك « القائدية » . وقد تمت تلك الهبة بزعامة ابن الزعيم الروحي الشهيـر (ماء العينين) ، الذي سبق له في العقدين الماضيين (عن بداية هذا القرن) ان جمع القبائل الصحراوية ضد السيطرة المذكورة أعلاه . ولا بد من القول مـع (E. BURKE ـ 1976) في هذا السياق ، بأن **الاسـلام** هو الذي مثل راية تلك الهبة ، (الاسلام بمضمونه الشعبي الذي ربط بين الدفاع عن هوية الجماهير الفلاحية والقضاء على البنى القائدية) (1) .

أما المحاولة الثانية ، وقد استمرت أكثر من سابقتها ، فقد قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي بين 1921 ــ 1926 ، وانتهت ، قبل فشلها التام ، باقامة الجمهورية الريفية . وهذا أيضا يظهر لنا الدور الحاسم الذي قام به الاسلام في تجاوز الانغلاق القبلي . ومع ذلك فنحن نعرف أيضا أن الجمهورية الريفية كانت (دولة) عصرية ، استطاعت أن تدمج وتحول ، في نفس الوقت ، البنى الجماعية التقليدية ، التي لم يكن التطور القائدي قد مسها بعد في هذه المنطقة . كما أننا نعرف أيضا مدى تأثير حركة النهضة العربية والحركة السلفية وكذا التيارات العصرية التي تأثرت بالثورة التركية والأنوية الأولى للنضال القومي في العالم العربي ، على التكوين الفكري لمحمد بن عبد الكريم نفسه . يضاف الى هذا وذاك الدور الكبير الذي فعلت به الثورة الريفية في حركة التحرر العربية ، والقيمة الرمزية التي يمثلها محمد بن عبد الكريم بالنسبة لهذه الحركة (2) ، وللمغرب العربي بصفة خاصة (3).

ومعنى هذا ، بصفة عامة ، أن آثار « المستقبل الممكن » (بتعبير ج. بيرك) التي خلفتها الحركتان المذكورتان ، بقيت حية في قلوب الجماهير، خصوصا وأنها أدت الى انبثاق نضالات مستقبلية أكثر اتساعا وتجددا وتطورا .

2 ــ الحركة الوطنية المغربية بقيادة البورجوازية

1) البورجوازية والتحرر الوطني (1926 / 1956)

انتفضت الجماهير الشعبية الحضرية في بداية القرن ضد التدخل الاستعماري وتخاذل السلطان عبد العزيز . وقد تمكنت القائدية ومعها البورجوازية الكبيرة من التحكم في حركة الانتفاضة ، ولم تستبدل عبد العزيز بعبد الحفيظ الا لكي تعبد الطريق نحو اقرار نظام الحماية . أضف الى ذلك أنه لم يكن بمقدور أية طبقة من جماهير المدن أن تقدم مشروعا سياسيا مفيدا وناجحا . فمشروع الدستور الذي أعدته جماعة (لسان المغرب) في 1908 ، والذي كان يتجاوب مع مطامح فئات من البورجوازية الوسطى الأكثر انفتاحا على التمدن ، وبخاصة نموذج (تركيا الفتاة) ، كان صداه محدودا جدا . (4) . الا انه ابتداء من عشرينات هذا القرن أصيبت البنى التقليدية للطبقات المدينية القديمة السائدة بتدهور شديد ، وذلك بفضل تطور نظام الحماية ، رغم أنه ساهم بالمقابل في تقوية « القائدية » في البوادي . وقد ترابط ذلك ايضا مع بروز عنصرين مناسبين : أولهما ، التأثير القوي للحرب الريفية على الجماهير الشعبية ، وخصوصا في المدن ، وعلى الشباب المثقف بالذات . وثانيهما ، وهو عنصر خارجي ، التأثير الذي مارسته

القومية العربية على هؤلاء المثقفين ، وعلى البورجوازية المتوسطة بصفة عامة . وكان هذا التأثير مطبوعا أساسا الطابع الديني والسلفي .

ومنذ ذلك الوقت تمكنت البورجوازية المتوسطة ، كمكون رئيسي من مكونات البورجوازية الوطنية ، من قيادة ما سيعرف فيما بعد بـ « الحركة الوطنية » . ومن المعروف أن النضال السياسي الأول والكبير الذي خاضته هذه الحركة تمثل في مواجهة (الظهير البربري / 1930) ، الذي حاول اخراج القبائل البربرية عن شريعة البلاد كلها ، ونعني الشريعة الاسلامية . وقد قوبل هذا النضال بمساندة واسعة في الشرق العربي ، الأمر الذي قاد الى ايجاد روابط سياسية وايديولوجية مع الحركة القومية في الشرق العربي ، غير أن هذه الروابط ظلت بصورة رئيسية مبنية على الانتماء المشترك للاسلام ، وكذا على تضامن سياسي عاطفي ، دون أن ترقي الى مستوى الارتباط الواعي بها . ذلك لأن المفهوم الأساسي الذي ساد في (الحركة الوطنية المغربية) بقي على الدوام هو (الوطن المغربي) ، حتى عند ما وقع التأكيد عليه كوطن عربي – اسلامي . زد على ذلك أن هذا المفهوم ، وقد بلورته كما لا يخفى البورجوازية الحضرية في الظروف التاريخية التي ظهر فيها ، تجاهل باستمرار كل خصوصية ، ولو كانت ثقافية ولغوية ، للمناطق البربرية المغربية .

وابتداء من 1940 ظهرت الحركة الوطنية بقوة جديدة في البلاد كلها ، أمام الضعف الامبريالي السائد ، ولذلك انحاز جزء من البورجوازية الكبيرة (ومعها الملكية) الى الحركة الوطنية . بيد أنها بقيت حساسة تجاه الوعود التي أغرتها بها الامبريالية الفرنسية (1946 – 1955) ، وكذا تجاه القمع التي ووجهت به من قبل ومن بعد (1937 و 1945) . (5) .

ولكي نقترب أكثر من الموضوع الذي يشغل بالنا هنا ، نشير الى أن التضامن السياسي مع الحركة القومية العربية في الشرق ، تزايد بصورة واضحة ابتداء من 1948 ، وذلك مع ظهور خطر قيام دولة اسرائيل ، التي أسست بفضل الغزو العنيف الاستعماري ضد شعوب الشرق العربي ، مستندة في ذلك على الايديولوجية العنصرية للصهيونية . وقد نظرت الحركة الوطنية ، باستثناء الحزب الشيوعي ، الى هذا المشكل بالذات كقضية دينية ترتبط بالدفاع عن (القدس الشريف) .

على أنه ابتداء من 1956 أخذت التيارات السياسية التي ظهرت في صفوف البورجوازية الصغيرة ، (بفضل تأثير أحداث الشرق ، وكذا بفضل التناقضات التي تطورت داخل البورجوازية الوطنية وبين هذه والبورجوازية

الصغيرة نفسها اعتبارا لما أحدثه نظام الاستعمار الجديد من شروط جديدة .. ، تقترب من التيارات التي ارتكزت على نفس الأسس الطبقية في الشرق العربي، وفي مقدمتها (الناصرية) و (حزب البعث) . يضاف الى ذلك أن استقرار الهياكل التبعية للاستعمار الجديد ، قاد الى تطوير انشقاقات وتحولات عميقة داخل الحركة الوطنية وفي العلاقات الطبقية بصفة عامة .

2) البورجوازية والتبعيـة (ابتـداء مـن 1956) :

حاولت الفئات المهمة من البورجوازية الكبيرة ، المدينية والقروية ، منذ مشاورات ايكس ـ ليبان (غشت 1955) ، الاقتـراب من المصالـح الاحتكارية الفرنسية ، ومن « الاقطاعية » في نفس الوقت ، هادفة من وراء ذلك الى انشاء وتقوية الدولة الاستعمارية الجديدة ، ضـدا على الجماهيـر الشعبية ومن أجل القضاء على المنظمات الأكثر راديكالية التي برزت فـي الدفاع المسلح ضد الاستعمار ، قبل كل شيء . خصوصا وان المنظمات المذكورة (المقاومة الحضرية ، وجيش التحرير) كانت تهدف الى متابعة النضال من أجل الاستقلال الحقيقي ، والاجلاء التام غير المشروط لجميـع القوات المسلحة والقواعد العسكرية الأجنبية ، ومن أجل مسانـدة نضـال الشعب الجزائري والمساهمة في تحرير الصحراء الغربية مـن الاستعمار ، متوافقة في ذلك مع مخططها النضالي الرامي الى تحرير المغرب العربي بأسره .

ولم يكن من الغريب في شيء ، لهذا الاعتبار ولغيـره ، أن تتعـرض المنظمات المذكورة أعلاه لعنف شديد القوة والشراسة ، جمع بين التصفية الجسدية لأطر المقاومة والسحق العسكـري لجيش التحريـر في الجنـوب ومطاردة المناضلين الصحراويين ، والتسرب والافساد السياسي .. الخ .

غير أن سلبية الأجهزة السياسية السائدة في صفـوف البورجوازيـة الصغيرة نفسها ، ساهمت في عزل القوى الراديكالية وخفقها سياسيا . ومعذر هذا أن التمايزات الطبقية التي توضحت منذ الاستقلال ، بحكم هذا وذاك ، أخذت شكلها التام في السبعينات ، فأصبحنا على معرفة واضحة بطبيعـة التشكيلة الاجتماعية والاقتصادية المغربية . الأمر الذي يسمح لنا ـ في اطار الموضوع المدروس ـ بالتمييز بين :

ـ البورجوازية الكبيرة الكومبرادورية ، المرتبطة بالملاكين العقاريين الكبار ، الرأسماليين وشبه الاقطاعيين : وهذه تمثل الطبقات السائدة ، وهي متحالفة مع الامبريالية والرجعية العربية .

ـ البورجوازية المتوسطة (ويمكن اعتبارها أيضا كـ « بورجوازية وطنية ») التي تسعى مع الشريحة العليا من البورجوازية الصغيرة الـى

تكوين الرأسمال الوطني (الذي يمكن أن يتطور تحت غطاء رأسمالية الدولة)، وتتعلق بوهم السير في هذا الطريق بالتركيز على (الاصلاحات) و (البرلمانية). وكثيرا ما تعللت هذه الطبقة بكونها الوريث السياسي والايديولوجي للحركة الوطنية المغربية (بين 1930 ـ 1956) . ويمكن القول بانها استعادت من هذا الماضي نفسه مفاهيمها عن الهدف الأساسي الرامي الى بناء (المغرب الأقصى الكبير) ، العربي ـ الاسلامي على الصعيدين الايديولوجي واللغوي ، متجاهلة كل خصوصية بربرية ، هذا مع تطلعها الى اعادة اصلاح النظام الحالي للتبعية بواسطة تدخل فعلي وقوي للتقسيم الدولي الجديد للعمل (6) . كما أنها ترغب في تسوية نزاع الشرق الأوسط عن طريق حل تفاوضي مع الصهيونية والامبريالية ، يضمن اقامة هيكل جديد للعلاقة بين الشمال والجنوب بالنسبة لمجموع الوطن العربي .

ـ الجماهير الشعبية من عمال وفلاحين وأشباه البروليتاريا والاغلبية الساحقة من البورجوازية الصغيرة المدينية ، وهم لا يملكون أي حل للقضاء على استغلالهم واضطهادهم الا بالثورة .

وسوف نهتم ، فيما يلي ، بهذه الطبقات الكادحة وبالقوى السياسية المنبثقة عنها ، قصد استجلاء مضمون التمفصل المذكور في بداية هذا البحث .

3 ـ الطبقات الكادحة : مسلسل الانبثاق السياسي :

بدأت المسيرة الطويلة والصعبة للجماهير الكادحة المغربية من أجل تنظيم صفوفها ونضالها بشكل مستقل ، منذ ما يزيد عن أربعين سنة . وذلك من خلال الأشكال الأولى للتنظيم التي انتهجتها الطبقة العاملة المغربية في المنظمات النقابية المرتبطة في ذلك الوقت بـ (س. ج. ت.) الفرنسية . ويرجع الفضل في ذلك الى الدور الذي لعبه مناضلو الحزب الشيوعي المغربي أساسا بين 1945 و 1948 (7) . واذا كانت حدود هذا الحزب لم تسمح للطبقة العاملة بدفع نضالها ، وهو نضال مهم وبطولي في الغالب ، نحو ايجاد تنظيم سياسي مستقل ، وأن البورجوازية الوطنية لهذا السبب تمكنت من الاستيلاء بدون صعوبات على القيادة السياسية للحركة (1949 ـ 1950) ، فان الطبقة العاملة المغربية لم تتوان ، منذ ذلك الوقت ، من الحفاظ على تأثيرها السياسي الخاص في النضال الوطني وفي الصراع الطبقي ، الأمر الذي قادها، كما هو معروف ، الى التحكم الهام ، ان لم يكن الحاسم ، في المرحلة الأخيرة من النضال وفي المقاومة المسلحة ذاتها ، التي قادت الى اسقاط الحماية .

ومما يلفت النظر أن نضال الطبقة العاملة أخضع انطلاقا من 1956 لأهداف اقتصادية بحتة ، سواء بسبب دور البيروقراطية النقابية التي تكونت في هذا الوقت ، أو بسبب رد الفعل الدفاعي الذي أجبرت عليه ابتداء من 1960 ، الشيء الذي مكن البورجوازية الصغيرة الراديكالية ، والاصلاحية فيما بعد ، من استغلال المطامح السياسية للطبقة العاملة لفائدتها الخاصة . ولهذا يمكن القول بأن محاولات تكوين تنظيمات سياسية مستقلة تعبر عن أماني الطبقات الكادحة ، طبعت منذ ذلك الوقت ، وما زالت الى يومنا هذا ، بالاثر الحاسم الذي خلفته البورجوازية الصغيرة الراديكالية على هذا المسار التطوري .

1 ـ البورجوازية الصغيرة : بروز التيار الراديكالي والثوري :

لقد بقيت أوضاع البورجوازية الصغيرة الراديكالية الى حدود 1956 متداخلة مع أوضاع الطبقات الأخرى في صفوف الحركة الوطنية ، رغم مساهمتها الأساسية في تنظيم الكفاح المسلح ، ولم تتوضح الا بعد الاستقلال في خضم التناقضات التي تولدت معه .

وقد رأينا في الفترة الفاصلة بين 1956 و 1959 كيف صفيت منظمات الكفاح المسلح التي قادتها بنفسها . غير أنه انطلاقا من 1959 ، في ارتباط مع تأسيس الاتحاد الوطني للقوات الشعبية حاولت تنظيم نفسها بشكل مستقل ، وخصوصا بفضل التأثير المباشر للمهدي بن بركة ، دون أن تتمكن خلال السنوات 24 الماضية من تاريخ المغرب فرض هيمنتها داخل الحزب المذكور ولا انجاح المحاولات الكفاحية التي قامت بها على الصعيد الاجتماعي والسياسي بصفة عامة (8) .

ولا بد من الاشارة ، في سياق الموضوع الذي يهمنا ، الى أن البورجوازية الصغيرة الراديكالية وقعت ، طوال فترة مديدة من تجربتها السياسية ، تحت تأثير المد الناصري ، وارتبطت بنضال الشعب الفلسطيني وثورته في نفس الوقت . وهذا في رأينا ، الى جانب قضايا أخرى ، يساهم بطريقة حاسمة ـ كما يجدر بنا القول من الآن ـ في رسم الحد الفاصل بين التيار الاصلاحي والتيار الثوري داخل البورجوازية الصغيرة . ومما يؤكد هذا ـ ونحن نسوق هنا مثالا حديثا ـ أن القيادة الحالية لحزب (الاتحاد الاشتراكي) التزمت صمتا مريبا حيال قضية اساسية لا يمكن تجاهلها أطلاقا ، ونعني مسالة تقديم تسهيلات معينة للقوات العسكرية الامريكية ، في حين طالب التيار الراديكالي بالوحدة النضالية والتعبئة الوطنية للوقوف ضد المحاولات الرامية الى استعباد الوطن والجماهير الشعبية .

2 ـ تكوين اليسار الجديد :

الى جانب التيار الراديكالي المذكور ، اتجه قسم هام من المثقفين الثوريين وجهة أخرى ، عجلت بطرح صيغة جديدة في ميدان العمل السياسي . فقد ظهر لكثير من العاملين في الحقل النضالي منذ 1965 ، المأزق الذي يتخبط فيه (الاتحاد الوطني للقوات الشعبية) على أكثر من مستوى ، وكانت الانتفاضة البيضاوية (1965) حدثا بارزا وجه الانتباه نحو ذلك بصورة لا تقبل الجدل . وهذا العامل نفسه كان في أساس تكوين المنظمات السياسية التي شكلت فيما بعد ما عرف بالحركة الماركسية ـ اللينينية (أو حركة اليسار الجديد) ، اذ يلاحظ ان أغلب العناصر المشكلة لهذه الحركة عملت في صفوف الحزب المذكور ، وكذا في اطار حزب (التحرر والاشتراكية) .

وكان لظهور اليسار العربي الجديد في الشرق ، وخصوصا بعد 1967 ، الأثر الواضح ، وخصوصا على الصعيد الايديولوجي ، في تشكيل الحركة المذكورة . ويعاد الى الذاكرة أن اليسار العربي الجديد خرج بصورة رئيسية من (حركة القوميين العرب) . فقد تميزت هذه الحركة في أصلها عن (حزب البعث) بنقدها الاساسي لمفهوم الصراع السياسي النخبوي ، رغم أنها بقيت أسيرة المفهوم المثالي الذي ساد في الحركة القومية بشكل عام . ويمكن القول أن (حركة القوميين العرب) ، بين 1965 و 1966 قادت معارك نضالية هامة في الأردن وفي اليمن الجنوبي (الذي كان وقتها محمية بريطانية) ثم تحولت بصورة واضحة الى اعتناق الماركسية ـ اللينينية ، .. وهكذا ظهرت للوجود مشروعا ثوريا واحدا للعالم العربي ، تمركز حول ضرورة انشاء حزب ثوري للبروليتاريا في كل تشكيلة اجتماعية على صعيد الأمة العربية ، يقود النضال المشترك سلامة العربية ضد الامبريالية والصهيونية وضد الرجعية العربية .

يضاف الى هذا أن من بين العوامل التي أثرت في تكوين حركة اليسار الجديد في المغرب ، وجود صراعات داخلية في صفوف الاحزاب الشيوعية الرئيسية في الشرق العربي ، وما كان لتلك الصراعات من ذيوع وانتشار (خصوصا في مصر والعراق ولبنان ..) ، وهو ما كان المناضلون المغاربة يتابعونه باهتمام وترقب .

وتجدر الاشارة في هذا السياق الى أن اليسار العربي الجديد في الشرق العربي ، بقي ، مع ما ذكرنا من تحولات ، حاملا نفس المفهوم المثالي للقومية العربية الذي دانت به حركة القوميين العرب من قبل . أضف الى هذا أن ايديولوجية الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي ، لم تتخلص من التجريبية التي طبعت ممارساتها ، على ما يظهر ، منذ أمد بعيد ، رغم أنها طورت

مواقفها ، وهو شيء محسوس ، تجاه المسالة القومية والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص .

أما حركة اليسار الجديد في المغرب ، فقد طبعت منذ البداية أيضا بالارث الايديولوجي للبورجوازية المغربية ، مع وجود بعض القطائع المهمة ، ويصدق هذا على كثير من مواقفه ، وان كان يبرز بصورة جلية في موقفه من (القضية الصحراوية) ـ رغم تطور بعض أفكاره حولها ـ ، وكذا تجاه قضية (تمازيغت) . فقد ماشت حركة اليسار الجديد فيما يرجع لهذه القضية ايديولوجية البورجوازية المغربية المطبوعة بمفهوم « أسطوري » نوعا ما للدور الكبير الذي يجب أن تقوم به اللغة العربية في تكوين وتقوية الأمة العربية ، وفي نفس الوقت بالأطروحة البورجوازية التي لا تتصور الدولة الا ممركزة وتتصور الأمة معها أحادية من الوجهة الثقافية ، وليس يخفى أن الايديولوجية المذكورة تحتقر جميع الأشكال الثقافية واللغوية غير المكتوبة ، أضف الى هذا أنها تحمل على قضية (تمازيغت) بالذات آثارا من الظروف التاريخية لتكوين الحركة الوطنية المغربية . فقد خلقت هذه الآثار عقدة حقيقية تجاه (المسالة البربرية) كمسالة متناقضة مع (العروبة) .

وعلى هذا يمكن القول بأن هناك مسارا تاريخيا يجب قطعه من أجل استخلاص نظرية ثورية منسجمة تسمح بتجاوز الارث الايديولوجي البورجوازي وتحدد التمفصل العضوي بين القضية القومية العربية وبين النضال الثوري في المغرب بنوعيه : التحرر الوطني والصراع الطبقي ، وهما نوعان يعبران في العمق عن المطامح الأساسية للجماهير الكادحة بغية التحرر من الاستغلال والاضطهاد .

وسنحاول في القسم الأخير من هذا البحث تحديد الاشكالات الرئيسية التي يجب معالجتها من أجل اعداد النظرية المذكورة ، على أن هذا لا يجب أن يمنعنا من كل شيء . ولكي يكون هذا العمل الجماعي ناجحا فلعله من المفروض أن يتجذر في صفوف الجماهير الكادحة ، وخصوصا في صفوف الطبقة العاملة والفلاحين ، معتمدا في ذلك على معرفتها الحسية وممارستها الثورية .

4 ـ نحو تحرر الجماهير الكادحة المضطهدة :

لعل أقوى ما يربط بين الهبات الجماهيرية التي ميزت بداية هذا القرن في سوس (1912) والريف (1921) وانتفاضة البيضاء (1965 ـ 1981) ، مرورا بنضالات الطبقة العاملة منذ 1945 والكفاح المسلح في المدن والبوادي (1953 ـ 1956) ... الخ ، هو ارتباطها بالدفاع عن تحرر المواطن من سلطة

الاضطهاد الوطني والاجتماعي معا ولتوضيح هذه الفكرة أكثر ، يمكن القول بأن الامبريالية (وحلفاءها في مختلف أرجاء المعمور) تسعى بصورة واضحة ، وخصوصا في وقت تتسارع فيه سيطرة الاحتكارات وتميل الى التهكل على الصعيد الدولي ، الى تحويل الجماهير الكادحة في ثلثي الكرة الأرضية الى جيش احتياطي صناعي ضخم ، وقوة عمل مستعبدة . ولهذا الأمر فنضال الجماهير الكادحة يكتسي ، في الواقع ، طابعا مزدوجا ، فهو نضال من أجل حياة الجماهير نفسها ، وهو كذلك من أجل استمرارهم في العيش كبشر . انه نضال يرمي الى **تأكيد وحماية الهوية** . وهذا ما يفسر ، اذا شئنا ايراد الأمثلة ، لماذا أحست الجماهير الشعبية العربية احساسا عميقا بالعدوان الصهيوني على فلسطين . فهذا العدوان لم يكن عدوانا من أجل القضاء على الشعب الفلسطيني كشعب ، بل ومحاولة للقضاء على الأمة العربية كذلك .

فكيف تتمازج مكونات الهوية بالنسبة للجماهير المغربية الكادحة والمضطهدة ؟ اننا نقول بما يلي :

1 ـ ان انتاج الهوية يتم أساسا في العلاقة التي توحد **المنتج الجماعي** بالأرض وذلك في اطار التمازج الذي يحصل بين هذه وذاك ، خلال سيرورة تاريخية طويلة الأمد .

2 ـ ان المنتج الجماعي في المغرب ، تأسس خلال قرون عديدة على تراث الجماهير الفلاحية المنظمة في القبائل . ولذلك فالثقافة / الهوية ، التي تكونت في اطار ذلك ، هي التي كونت قبل الاسلام هوية المغرب الامازيغي .

3 ـ وبواسطة الاسلام ، وكذا بواسطة تداخل المغرب مع سيرورة تكون الأمة العربية على امتداد قرون ، أدمج الاطار القبلي الامازيغي وتجووز في نطاق مجرى تيار أوسع عن التفاعل والتصاهر . وبفضل الشبكات التجارية وتمفصل بوادي ـ مدن ، تطورت امكانيات جديدة للارتباط بالارض ، وفي ارتباط مع ذلك تفتحت الطاقات الثقافية للجماهير الكادحة المغربية . وقد مثل التطور المذكور الأساس التاريخي للثقافة العربية ـ الأمازيغية ، ثقافة الشعب المغربي وخصوصية انتمائه للامة العربية في آن واحد .

4 ـ وقد ألحقت عصور الانحطاط الماضية ضررا كبيرا بالنتيجة المذكورة في النقطة السابقة . أضف الى ذلك أن الثقافة والايديولوجية التي فرضتها الطبقات السائدة في المرحلة (الامبراطورية) ثم في المرحلة المخزنية، باسم « الاورثودكسية » في معظم الاحيان ، ساهمتا بدور لا ينكر في طمس التفاعل الذي كون ثقافة الشعب المغربي . غير أن ذلك كله لم يتمكن من القضاء على الآثار التي ترسبت في الذاكرة الجماعية للجماهير الشعبية .

5 ـ ان المرحلة التاريخية الحالية من تبنين الأمة العربية ، تفرض أن تكون قبل كل شيء مرحلة تقود فيها الجماهير الكادحة في كل تشكيلة اجتماعية عربية ، نضالا لا هوادة فيه ضد الرجعية العربية المحلية (وضد ايديولوجيتها كذلك) . من أجل انتصار الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية ، وهو انتصار يقتضي ان تكون البروليتاريا في قيادته السياسية كذلك .

6 ـ ان ادماج الوطن المغربي في الأمة العربية ، ومساهمة النضالات الطبقية للجماهير الشعبية المغربية في حركة التحرر العربية ، ليس متناقضا مع وجوب انجاز أهداف الثورة الوطنية الديمقراطية الشعبية المغربية . ولا يمكن أن يتحقق هذا الا بازدهار « الاثنوية » الامازيغية ، لأنه لا تناقض في هذا المجال أيضا بين المحافظة على « الاثنوية » والامازيغية والانتماء للأمة العربيـة (10) .

7 ـ ان الهوية الوطنية التي لا بد من استعادتها والحفاظ عليها والعمل على تطويرها ، يجب أ نترتكز على النضال التحرري للعمـال والفلاحيـن ، ونضال مجموع الجماهير الكادحة والمضطهدة ، وذلك في نطاق تمفصل ثابث وأكيد بين النضالات الطبقية ونضالات التحرر الوطني في التشكيلة الاجتماعية المغربية من جهة ، وبين المساهمة الفعلية في نضال التحرر القومي العربي من جهة أخـرى .

ملاحظة ختامية :

ان الأمة ـ خلافا للمفهوم البورجوازي ـ تنبثق عن تبنين ديناميكي على امتداد قرون ، ويتضمن مراحل طويلة من التقدم والتراجع لا تستقـل عـن دينامية الصراع الطبقي ، وسيحقق التبنين المذكور ازدهاره التام مع بنـاء الاشتراكية بقيادة البروليتاريا . ويمكن الاشارة أيضا الى ان دور اللغة في تبنين الأمة ليس محددا رئيسيا ، رغم أهميته . كما ان الوحدوية اللسانية ليست شرطا لا بد منه . وفيما يعني المغرب يمكن القول بأن تداخل الثقافتين العربية والامازيغية في ثقافة وطنية مغربية ، يفرض ـ كما أنه فرض خلال القرون الأولى من تطور الاسلام بالمغرب ـ تفتح اللغتين اللتين تحملانهمـا (العربية ـ الامازيغية) في نطاق الثقافة الوطنية المغربية نفسها . ونشير أخيرا الى أن التبنين الديناميكي للامة العربية ، يتم في المرحلة التاريخية الراهنة ، بواسطة تطور تاريخي يرتكز على ركيزتين (الوطنية والقومية) متكاملتين بالضرورة .

سبتمبـر 1982

هـوامـش :

(1) PRELUDE TO PROTECTORATE IN MOROCCO, E. BURKE III. CHICAGO 1976 P. 199 et Suivantes.

(2) انظر المؤلف الجماعي عن عبد الكريم وجمهورية الريف (بالفرنسية) منشورات ماسبيرو (بـاريـز) .

(3) انظـ حـول ذلك كتاب جرمـان عيـاش LES ORIGINES DE LA GUERRE DU RIF. Société marocaine des éditeurs reunis - Publications de la Sorbonne 1981.

(4) E. BURKE ، مصدر مذكور ، الفصل الخامس (99 ـ 127) .

(5) انظر : حزب الاستقلال (من الامة الى الطبقة) ـ ارشاد حسن ـ الجسور (مجلـة) العـدد 3 / 1981 .

(6) انظر كتاب فتح الله والطـو : L'impérialisme et la troisième Fase de domination, éd. Maghrebines 1967

(7) اننا لا نتكلم على نضالات (1936 ـ 1938) التي كانت بصورة أساسية نضالات العمال العمـال الاوربيين بالمغـرب .

(8) ومع ذلك ، يمكن القول هنا بأن القطيعة الاخيرة (ماي 1983) بين هذه القوى الراديكالية وقيادة الحزب (الاتحاد الاشتراكي) لا يمكن اعتبارها محاولة فاشلة ، لانها تمثل مرحلة جديدة في تهيكل القوى الثورية المغربية .

(9) انظر حول ذلك العدد الخاص **بالظاهر الاسلامية** الذي اعدته مجلة Peuples Mediterramienn **عدد 21** ، ومساهمة MUKAFFA بالخصـوص .

(10) ان الرأي القائل بوجوب كتابة الامازيغيه بحروف تيفناغ ، يمكن أن يكون عقبة في وجه تطور الوحدوية / الازدواجية المشار اليها في النص . وعلينا أن نفكر مستقبلا في كيفية تعليم اللغتين (العربية والامازيغية) انطلاقا من الدراسة الابتدائية . وهو ما يمكن ان يشكل كلا منسجما من اجل تطور الطفل انطلاقا من لغة أمه الشفوية ، والتمرس باللغتين يمكن أن يصبح سهلا اذا قام ـ في هذه السن المبكرة ـ على كتابة مشتركة (مع مراعاة المتطلبات الفونولوجية ..) . ان مشكل كتابة اللغة الامازيغية يجب أن يكون في راينا محط اهتمام من طرف لاختصاصيين **المغاربيين** جميعـا .

انظر حـول هـذا المـوضـوع :

ـ اشكـاليـة الكتـابـة الامازيغيـة . الشامي محمد .

اعمال الملتقى الاول للجامعة الصيفية . اكادير 1980 ، ص. 155 / 174 .